ادخل
إلى
العمق

حضور الله
في العهد القديم والجديد

❄✚❄

تمهيد:

يُمثِّلَ الإيمان بحضور الله في وسط جماعة بني إسرائيل محورًا أساسيًّا وهامًّا في رجاء هذا الشعب، ودائمًا ما كان هذا الإيمان بالله مدعاةً لافتخاره وثقته في تميُّزِه عن باقي شعوب الأمم المحيطة. والحقَّ أنَّ هذا الإيمان بالحضور الإلهي - بالنسبة لبني إسرائيل - كان عاملًا رئيسيًّا في رفع قلوبهم نحو الله، وفي تعلُّق رجائهم عليه لنُصرتهم ومعونتهم ونجاتهم من أعدائهم **من جهة**، وفي استحقاقهم للمواعيد والبركات - التي اختصَّ الله بها هذا الشعب في القديم - **من جهة أخرى**، وذلك نظير إيمانهم به، وانفصالهم عن كل رجاسات الشعوب والأمم الوثنية المحيطة بهم، وقبولهم أن يكونوا شعبًا مقدَّسًا وأمة بارة، تحت قيادة وسلطان الرب إلههم.

ويشهد أنبياء العهد القديم، عن **حضور الله** في وسط شعبه قديمًا، بعبارات متعددة يؤكِّدون فيها إيمانهم وثقتهم في هذا الحضور، الذي يعني ببساطة: **سُكنى الله نفسه مع البشر**، وحلوله بينهم. فموسى النبي يشهد بقوله: "لأنَّ الرب إلهكم سائرٌ أمامكم" (تث ٢٠: ٤؛ ٢٣: ١٤)، وداود النبي يُرنِّم قائلًا: «اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ» (مز ٤٦: ٥)، وأيضًا يقول: «اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ» (مز ٨٢: ١)، وميخا النبي أيضًا يكتب بالروح: «أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسَطِنَا؟» (مي ٣: ١١)، كذلك يكتب زكريا النبي عن الرب قوله: «فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ» (زك ٢: ١١). وهكذا أيضًا كل الأنبياء كتبوا عن **حضور الله في وسط شعبه** وعن وعوده لهم بالسير معهم وقدامهم؛ كما يَرِد في سفرَيِّ يشوع وإشعياء: (يش ٣: ١٠؛ إش ٥٢: ١٢)، وكذلك في ذِكرهم لله كمحارب عنهم وقائم بينهم ... إلخ. ثم تأتي العلامة المميَّزة والمنظورة لهم، ذات المهابة والمملوءة بالأسرار غير المُدرَكة، بتواجد الله نفسه وسطهم في مثال تابوت العهد (تابوت الشهادة)، الذي أَوضَحَه الرب لموسى ليصنعه على مثال ما أراه، لكي يُمثِّل لبني إسرائيل قمة الإعلان السري عن الحضور الإلهي في العهد القديم.

الحضور الإلهي في العهد القديم (تابوت العهد):

طلب الربُّ من عبده موسى، أن يصنع تابوتًا لعهده مع بني إسرائيل، وأن يضع فيه لَوحي الشهادة التي كتبهما الربُّ الإله، حسب قوله: «وَفِي التَّابُوتِ تَضَعُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ» (خر ٢٥: ٢١). وكلَّم الرب موسى قائلًا: «وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ **(الشاكيناه)**، مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ، بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خر ٢٥: ٢٢). **والشاكيناه** كانت تعني حضور الله واستعلانه الذي كان يظهر في خيمة الاجتماع فوق غطاء تابوت العهد، حيث كان هذا الحضور يتمثَّل في ضوءٍ لامعٍ فوق تابوت العهد، وكان ذلك دلالة منظورة لحلول الله وسكناه في وسط شعبه، وكان الله يُكلِّم موسى من على الغطاء الذي كان على تابوت العهد، كما ورد في سفر العدد: «فَلَمَّا دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الِاجْتِمَاعِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، كَانَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ يُكَلِّمُهُ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ، فَكَلَّمَهُ» (عد ٧: ٨٩).

فنرى هنا، أن تابوت العهد (الشهادة) - في العهد القديم - كان ممثِّلًا لقِمَّة استعلان حضور الله في وسط شعبه. لذلك صلَّى سليمان الملك إلى الرب عند تدشينه للهيكل، قائلًا: «وَالآنَ قُمْ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ إِلَى رَاحَتِكِ أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ» (٢ أخ ٦: ٤١). وصار **حضور الرب** وسط شعبه - والمُمثَّل في وجود **تابوت العهد** بينهم - هو الشاهد الأقوى لهم عن عِظم الكرامة والمجد الموهوبَين لهم من الله. حتى أنَّ كنَّة عالي الكاهن، امرأة فينحاس ابنه صرخت - حينما أَخذ الفلسطينيون التابوت في الحرب مع إسرائيل - وقالت: «**زَالَ الْمَجْدُ** مِنْ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ تَابُوتَ اللهِ قَدْ أُخِذَ» (١صم ٤: ٢٢).

وأكثر من هذا، كانت الأمم المحيطة بإسرائيل تُدرك قيمة ومكانة هذا التابوت ووجوده؛ كرمز لحلول إله إسرائيل المخوف في وسط شعبه، والذي كانت تتمثَّل فيه سرُّ قوَّتهم وعظمتهم وسبب افتخارهم، حيث كانوا يرتعدون منه (أي من الحضور الإلهي المتمثِّل في وجوده)، كما ورد في سفر صموئيل الأول: «وَعَلِمُوا (أي الفلسطينيون) أَنَّ تَابُوتَ الرَّبِّ جَاءَ إِلَى الْمَحَلَّةِ، فَخَافَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لأَنَّهُمْ قَالُوا: قَدْ جَاءَ اللهُ إِلَى الْمَحَلَّةِ» (١صم ٤: ٦، ٧).

بهذا المقدار كان تابوت العهد هو المثال الأعظم أمام بني إسرائيل، وأمام الأمم أيضًا، للدلالة على حضور الرب وسُكناه في وسط شعبه، وقيادته وتعضيده لهم، وضمان بركتهم ومعونتهم، بل والمحاربة عنهم، إن لزم الأمر! ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن حضور الرب قد تمثَّل أيضًا في حلوله على خيمة الاجتماع وهيكل سليمان، ولكن تُرى هل يمكن للعليِّ أن

يكون سُكناه في مجرد تابوتٍ خشبي، أو هيكلٍ مصنوع بالأيادي؟ كما يَرِد في سفر أعمال الرسل (أع ٧: ٤٨)، هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه فيما يلي.

حضور الله في العهد الجديد: (سُكنى الله مع البشر):

تساءل سليمان النبي والملك - في القديم - قائلًا: «لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا مَعَ الإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَ ذَا السَّمَوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَوَاتِ لَا تَسَعُكَ» (٢أخ ٦: ١٨)، وانتظر سليمان مَنْ يُجيبه! وبعد سنوات طويلة، أتى إشعياء النبي ليُجيبه عن سؤاله بالروح، فيقول: «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ **عِمَّانُوئِيلَ**» (إش ٧: ١٤)، ويشرح القديس متى الرسول معنى كلمة "**عمانوئيل**"، بقوله: «**اَللهُ مَعَنَا**» (مت١: ٢٣). ويتبع ذلك ما كتبه يوحنا الإنجيلي: «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الِابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يو١: ١٨).، وهو ما يؤيد نبوة إشعياء النبي عن **تجسُّد الابن وحضوره** بيننا حينما قال بالروح: «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ» (إش ٩: ٦).

وأخيرًا يأتي بولس الرسول ليشرح الأمر برُمَّته، ويفك رموز هذا السرِّ المكنون لنا من قبل الدهور، الذي به تمَّم الله مشورته من أجل خلاصنا، وحقق كل ماسبق وتنبأ به الأنبياء عن ظهوره وتجسده الطاهر لأجل خلاصنا؛ فيقول القديس بولس بالروح: «اللهُ، بَعْدَمَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ» (عب ١: ١،٢).

وهكذا صار حضور الله بين البشر في العهد الجديد، حقيقة وواقعًا حيًّا بسرٍّ يفوق العقول، من قِبَل تجسُّده الطاهر وولادته كإنسان، ثم بإرساله روحه القدوس ليسكن فينا ويمكث معنا إلى الأبد. هذا الأمر العجيب جعل الرسول بولس يهتف من أعماقه قائلًا: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**» (اتي ٣: ٦). ففي زمن الخلاص والعهد الجديد، صار سر التجسُّد **(أي الله معنا)** هو الإعلان الإلهي الجديد عن حضور الرب معنا، وسكناه فينا بروحه. وها هو يوحنا المعمدان يشهد عن حضوره بقوله: «وَلكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ» (يو ١: ٢٦)، ولوقا البشير يقول عنه: «يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ» (لو ٢٤: ٣٦)، ويوحنا الرسول يكتب بفرح ويقول: «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. **فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ**» (١يو ١: ١،٢). وصار حضور الرب وظهوره مدعاة للفرح والبهجة لكل من يؤمن به، فيكتب لنا يوحنا الرسول: «فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو ٢٠: ٢٠). وتكميلًا لهذا الفرح وتعميمًا له حتى يناله الجميع بحضور الرب الدائم؛ أعطي الرب يسوع وعده الإلهي

الصادق والأمين: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ» (مت ٢٨: ٢٠)، وأيضًا وهبنا وعده المُفرح: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون **في وسطهم**» (مت ١٨: ٢٠).

عمانوئيل (الله معنا) ، والروح القدس (الله فينا):

تكلَّم يوئيل النبي بالروح، عمَّا سيكون في قادم الأيام، فقال: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ» (يؤ ٢: ٢٨). فهل حدث بعد صعود الرب (جسديًّا) إلى السماوات، أن انقضى زمان حضور الرب معنا (عمانوئيل الله معنا)؟ بالقطع لم يحدث هذا الأمر. فالرب يسوع أعطى وعده الصادق عند صعوده جسديًّا، بأنه لن يتركنا يتامى أو حزانى، بل إنه سيرسل روحه القدوس من عند الآب ليسكن معنا ويدوم فينا إلى الأبد؛ حسب ما ذكرنا في وعده للتلاميذ في: (مت ٢٨: ٢٠). وهذا الأمر الذي تمَّ بحلول الروح القدس على الرسل وعلى كل المجتمعين (كبذرة ونواة للبشرية كلها) في يوم الخمسين، وهو ما يكتب عنه بولس الرسول حين يقول: «ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: يَا أَبَا الآبُ» (غل ٤: ٦)، وهو أيضًا تحقيق لنبوة يوئيل النبي السابق ذكرها.

لقد وعدنا الرب يسوع **بسكنى روحه فينا؛** أي **بحضوره الدائم معنا،** حينما قال لتلاميذه عن الروح القدس إنه: «مَاكِثٌ مَعَكُمْ **وَيَكُونُ فِيكُمْ**» (يو ١٤: ١٧). ولكن الملفِت في الأمر هنا، أن حضور الرب لم يعد مُرتبطًا بتوابيت أو هياكل مصنوعة أو أماكن بحد ذاتها؛ كما يكتب لوقا الرسول في سفر أعمال الرسل: «لكِنَّ الْعَلِيَّ لَا يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي» (أع ٧: ٤٨). بل تغيَّر الأمر، وصرنا نحن - المولودين من الله والمصطَبغِين بالمعمودية المقدسة - هياكل مقدسة، وأوانٍ طاهرة، مستعدة ومؤهَّلة لحلول الله (بروحه القدوس) فينا، وحضوره الدائم في حياتنا. وعن هذا يشهد بولس الرسول قائلًا: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ **هَيْكَلُ اللهِ،** وَرُوحُ اللهِ **يَسْكُنُ فِيكُمْ؟**» (١كو ٣: ١٦).

لذلك صارت أجسادنا وقلوبنا هي **مسكن الله** وموضع راحة روحه القدوس. وصار قلب الإنسان هو العرش الجديد للملك العظيم، ومسكنه الذي يبتغيه ليملك عليه، ويشرِق بنوره وحضوره الدائم فيه، لكي يُجلي كلَ أستار الظلمة من حياة الإنسان، ويعدَّه مصباحًا مضيئًا في ملكوته.

كيف نُعدُّ قلوبنا لحضور الرب وسكناه:

لقد أصبح حضور الرب وسكناه عطية دائمة ومتاحة لكل قلب طاهر ومستعد لقبول الروح القدس داخله؛ وذلك بشرط أن يعرف الإنسان كيف يهيِيء قلبه ويقدِّسه جيدًا، ليكون

أهلًا لهذا الحضور والسكنى الدائمة. ويُمكننا تلخيص أهم الأمور الواجبة علينا لإعداد قلوبنا لاستقبال حضور الرب فيها فيما يلي:

- **التوبة:** إنَّ توبة الإنسان ونقاوة قلبه ضرورة قصوى لإمكان حلول الله وسكنى روحه داخل قلب الإنسان، فالروح القدس لا يمكن أن يقيم مع أي روح شر أو نجاسة أو ظلمة أو خطية. ولا توجد شركة للنور مع الظلام. وطوبى للإنسان الذي يسهر ويجاهد لحفظ نقاوة قلبه بالتوبة وكلمة الله، وبالاتضاع والسهر والجهاد، لأنه حينئذ يقدر بجسارة البنين أن يتقدم لشركة التناول من جسد الرب ودمه، ليثبُتَ في المسيح ويقبل نعمته بداخله، فينال ميراث الشركة والحياة الأبدية. والرب يوصينا بقوله: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨).
- **الصلاة:** الصلاة هي سر هام من أسرار الاستعداد لاستقبال حضور الرب، كما يُذكر في سفر الأعمال: «كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أع ٢: ١،٤). وكذلك ما يقوله الرب: «فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ **لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ**» (لو ١١: ١٣).
- **الإيمان:** يقول الرسول بولس: «لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أف ٣: ١٧). فالإيمان واسطة عظيمة به نقدر أن نتهيأ لقبول المسيح، وحضوره في قلوبنا، والتمتُّع بهذا الحضور البهيّ.
- **المحبة والاشتياق:** يقول الرب يسوع: «اَلَّذِي عِنْدُه وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، **وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي**» (يو ١٤: ٢١).
- **الصبر والرجاء:** يقول المرنِّم: «اِنْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، **فَمَالَ إِلَيَّ** وَسَمِعَ صُرَاخِي» (مز ٤٠: ١). إن المثابرة واللجاجة والصبر، مع الترقُّب لمجيء الرب هم من أهم متطلبات الاستعداد لحضور الرب. وطوبى للساهرين والصابرين والمنتظرين والطالبين سرعة مجيئه، لأنه يأتي ولا يُبطئ، والمستعدون والصابرون سيفرحون بحضوره.

بمثل هذه الأمور المقدسة، نستطيع أن نجتذب إلينا مراحم الرب وننعم بحضوره المُفرِح والدائم فينا، ونشعل مصباح الروح القدس الموهوب لنا بداخلنا، ونتهيأ لاستقبال ميلاده فينا؛ فنتلذذ بحضور الرب وعشرته المقدسة كل أيام حياتنا.